التطور التاريخي لحقوق الإنسان

- تطور فكرة حقوق الإنسان ومراحلها التاريخية:

منذ أن ولد الانسان ولدت معه حقوقه، لكن الوعي بهذه الحقوق والاعتراف بها، ومن ثم التمتع بها اتّخذ مسيرة طويلة في التاريخ البشري، وقد حققت هذه المسيرة الطويلة مكاسب كبيرة لصالح حقوق الانسان، ويعود الفضل في ذلك الى نضال الافراد والشعوب عبر التاريخ ضد الظلم والطغيان، وقد ساهمت الشرائع السماوية والحضارات القديمة في وضع بذور مسيرة حقوق الانسان منذ زمن بعيد، فكل الشرائع السماوية أولت الإنسان وحقوقه الاهتمام الأول، كما أن سمة الحضارات جميعها هي الاحترام الذي توليه لكرامة الانسان وحريته.

حقوق الإنسان فى الحضارات القديمة:

1- حقوق الإنسان في حضارة (وادي الرافدين):

تُعد حضارة وادي الرافدين من اقدم الحضارات البشرية وابرزها اهتماما بحقوق الانسان، وكان العراقيون في مختلف عصورهم التاريخية، سومرية، اكدية، بابلية أو اشورية يطالبون عاهلهم دوما، بوصفه نائبا للإله، بوضع قواعد وتطبيق اجراءات تضمن للجميع الحرية والعدالة الاجتماعية والمساواة، ويذكر المؤرخون بأن كلمة حرية (اماركي) قد وردت في نص سومري لأقدم وثيقة عرفها العالم القديم تشير صراحة الى اهمية حقوق

الانسان وتأكيدها على حريته ورفضها كل ما يناقض ذلك، وهي وثيقة سومرية.

- اصلاحات الملك أوروكاجينا: عثرت بعثة تنقيب فرنسية كانت تعمل في اطلال مدينة لكش في قضاء الشطرة (جنوب العراق) على مخروط طيني مدون باللغة السومرية والخط المسماري يضم عددا من الاصلاحات الاجتماعية التي وضعها العاهل السومري (اوروكاجينا) حاكم دولة مدينة لكش، للقضاء على المساوئ التي كان يتذمر منها شعب دولة المدينة تلك، وازالة المظالم والاستغلال الذي كان يقع على الفقراء من الاغنياء والمتنفذين ورجال المعبد، وقد قام بوضع قوانين توفر للشعب الحرية والعدالة الاجتماعية والمساواة، وقد وضع اوروكاجينا ايضا عدد من الاصلاحات الاجتماعية لتنضيم حياة الاسرة والمحافظة على مكانة المرأة واستقلاليتها في مجتمع المدينة السومرية .

- قانون أورنمو: ويعد من اقدم القوانين المكتشفة لحد الان ووضعها مؤسس سلالة اور الثالثة الملك السومري اورنمو، ويتكون من 31 مادة، وعالج عدد من المسائل الاقتصادية والاجتماعية مثل نشر العدل ورفع المظالم، والمحافظة على حقوق المرأة وغيرها من المسائل وقد لقب اورنمو بمنظم العدالة في سومر لأنه وطّد العدالة ورفع الظلم والبغضاء.

- قانون لبت عشتار البابلي: يعود هذا القانون الى بداية العهد البابلي القديم اصدره الملك لبت عشتار خامس ملوك سلالة ايسن، سبقت شريعته شريعة حمورابي بقرنين من الزمان ويعد هذا القانون ثاني اقدم قانون في تاريخ البشرية، تضمنت المقدمة والخاتمة و37 مادة ومن مبادئ حقوق الانسان في

هذا القانون منع تعذيب الانسان وضمان حقوق الطفولة وحماية طبقة العبيد، كما امتدت الحماية في هذا القانون إلى الحيوان ومنع ايذائه.

- قانون مملكة إيشنونا: وهي احدى الممالك الاموريه التي قامت على انقاض سلالة اور الثالثة وهذا القانون يعد من اقدم القوانين التي ضمنت حقوق الانسان في المجتمعات القديمة، وقد ضم هذا القانون 70 مادة قانونية عالجت مواضيع تحديد أسعار المواد الأساسية، وتحديد أسعار النقل البري والمائي، وغيرها من التشريعات.

- شريعة حمورابي: اصدرها الملك حمورابي اشهر ملوك العهد البابلي وتم كتابتة على مسلة كبيرة من الحجر الأسود، وتعد أهم وثيقة قانونية في حقوق الانسان والحريات الأساسية؛ لأنها مثلت اول مدونة وضعية للقانون، حددت قواعد العدل والانصاف وما يرفع الحيف والظلم عن الافراد بشكل عام والمرأة بشكل خاص، وكفالة حق الرعاية الصحية للمواطنين.

2- حقوق الإنسان في العصر الفرعوني:

كان المجتمع الفرعوني المصري في العصر القديم يتميز بفرض السلطة المطلقة للفرعون على شعبه، وفضلاً عن الوظيفة الدينية للفرعون فقد كانت له وظيفة عسكرية تتمثل في حماية شعبة وبلاده من الأخطار الخارجية، وكانت له أيضاً وظيفة سياسية تتمثل في فرض واستتباب الأمن والنظام في البلاد والعدل بين الرعية، كما كان يتمتع بسلطة مطلقة لا حدود لها، لهذا كانت إرادته هي القانون، وعلى المواطنين الخضوع لهذه الإرادة.

وقد عرفت الحضارة المصرية القديمة بعض الملامح الأخرى لحقوق الإنسان ومنها حق الإنسان في الحياة والحق في التعليم ومبدأ المساواة والتأمين

الصحي، فضلا عن المكانة التي شغلتها المرأة في مصر الفرعونية، إذ كان يُعترف لها بالأهلية سواء كانت متزوجة أم غير متزوجة، وكان لها أيضاً الحق في تملك الأموال وابرام التصرفات الشخصية.

ومع ذلك فيُشار إلى أن النظام الاجتماعي في مصر القديمة كان يعرف ثلاث طبقات اجتماعية، أولها الطبقة الارستقراطية وهي تمثل أفراد العائلة المالكة، وثانيها الطبقة المتوسطة، وثالثها الطبقة الدنيا وهي طبقة الفلاحين، فضلاً عن هذه الطبقات فقد كان لدى الفرعون ما يعرف بـ العبيد كعبيد رجال الجيش وعبيد الكهنة وعبيد الأثرياء.

3-حقوق الإنسان عند اليونان:

تميزت الفلسفة اليونانية بأنها تقوم على مفاهيم العدالة والحرية والحكومة الدستورية التي أتاحت للفرد إمكانية مساهمته في الحكم.

ويرى إفلاطون إن أول ما تعنى به الحكومة أن تقوم بتوفير السعادة للأفراد وأن تهتم بجوانبهم الصحية، وأضاف ان الدولة يجب أن تقوم على العدل، وبخلاف ذلك فإنها ستكون دولة فاسدة ومهددة بالانهيار، أما أرسطو فقد أكد على أن المثل العليا للدولة تتمثل في سيادة أحكام القانون والعدالة والتعليم، وأن الدولة قد وجدت لصالح الإنسان وليس العكس، وكان أرسطو يرى أن طبقة الرقيق هي من صنع الطبيعة التي جعلت من هؤلاء العبيد أدوات لتحقيق سعادة الأسرة اليونانية.

ومع ذلك فإن مجتمع الدولة اليونانية كان يقوم على الطبقات الاجتماعية، إذ كان يقوم على طبقات ثلاث كل واحدة منها تختلف عن الأخرى، أدناها طبقة العبيد التي كانت كثيراً ما تقع ضحية القتل من قبل المواطنين اليونانيين من

ذوي المراكز المتقدمة، ولكن حصلت فيما بعد إنعطافة كبيرة إزاء حقوق الإنسان وآدميته لاسيما بعد ظهور جماعة السوفسطائيين التي جعلت من الإنسان في ذلك الوقت يتخطى الحواجز التقليدية في هذا المجال، فضلاً عن ظهور الجماعة الأبيقورية التي دعت إلى المساواة بين الناس وإشاعة روح الإخاء بينهم والدعوة إلى سيادة القانون، وهو ما دعت إليه المدرسة الرواقية أيضاً، كما نادى صولون من خلال دستوره الذي وضعه موضع التطبيق العملي بالمساواة بين الأغنياء والفقراء، فضلاً عن الدعوة إلى الديمقراطية.

4- حقوق الإنسان عند الرومان:

لعل السمة البارزة للمجتمعات في الحضارة الرومانية انها كانت تقوم على التقسيم الطبقي والتفاوت الاجتماعي، فمثلاً كان المجتمع الروماني يقوم على طبقة الاشراف وطبقة العامة، ولم يكن لهذه الاخيرة حقوق المواطنة فضلاً عن منع أفرادها من المشاركة في المجالس الشعبية كما لم يكونو يتمتعون بحق المساواة امام القضاء، فضلاً عن ان حقوق المرأة عند الرومان كانت منتهكة.

وقد كان شيشرون يرى أن الحقوق يجب أن تكون متساوية للرومانيين وغيرهم، مع ان أفعال الرومان قد ناقضت هذه الشعارات، كونهم كانوا يقومون على التمايز الطبقي، حتى أن الحاكم جوستنيان قد سلم به أمراً واقعاً.

5- حقوق الإنسان في العصور الوسطى:

يراد بالعصور الوسطى الحقبة التاريخية التي تقع بين العصور القديمة وعصر النهضة والرأي الراجح يرى ان مدتها التاريخية عشرة قرون تقريباً، وعلى العموم تتميز هذه العصور الوسطى بسيطرة نظام الإقطاع في أوربا، وكان الفلاحين في أراضي المالكين يعيشون حياة تقترب من العبودية، بل كانوا يتعرضون للبيع أو الاستبدال أو الطرد في حال عجزهم عن الوفاء بالتزاماتهم، فضلاً عن ذلك فإن العلاقات في المجتمع كانت محكومة بالأعراف، إذ ليس هنالك قانون يسود أو يحكم.

ولعل مما يميز هذه العصور سيطرة الكنيسة التي تحولت إلى سلطة فوق سلطة الملوك والأمراء، مما حدا بها إلى الاستبداد والطغيان.

غير إن ما يميز هذه الحقبة وبشكل إيجابي، صدور وثيقة الماكناكارتا أي العهد الأعظم في إنجلترا عام 1215م، والتي تعد من أهم الوثائق الغربية التي نصت على حقوق الإنسان، وقد عرفت هذه العصور الوسطى عدداً من المفكرين الذين ساهموا في نشر ثقافة الحرية والحقوق الطبيعية للإنسان ومنهم الايطالي توماس الأكويني الذي دعا إلى تحرير العقل من سطوة الكنيسة، والفيلسوف جان كالفن الذي أكد على القيمة العليا للإنسان.

6- حقوق الإنسان في العصر الحديث:

مع بوادر ظهور عصر النهضة تغير الأمر، فقد امتاز بظهور حركة فكرية تنويرية واضحة تدعو الحكام إلى توفير الحقوق والحريات للشعوب من جهة، ومحاولة تنوير وإيقاظ الوعي الشعبي من جهة أخرى، والدعوة إلى فكرة ان الشعب هو مصدر السلطات وان الحاكم ليس إلا مفوضاً من المجتمع

في إدارة شؤونه، وقد كان لهذه الأفكار صدى كبيراً في القارة الأوربية بالشكل الذي دعا إلى تقييد سلطات الملوك والحكام، وكان من نتيجة ذلك أن قامت عدد من الثورات أنذاك، ومنها الثورة البريطاني في مواجهة حكم عائلة آل ستيوارت والثورة الأمريكية ضد الاستعمار البريطاني والثورة الفرنسية الشهيرة، وكان من أهم نتائج نجاح هذه الثورات أن تم اعتماد الاسلوب الديمقراطي في الحكم وإقرار حقوق الأفراد وحرياتهم حتى أصبحت مقولة (إن قيمة الإنسان تكمن في ذاته) هي السائدة في تلك الحقبة، وقد شهدت هذه الحقبة من الزمن ظهور عدد من المفكرين الذين نادوا بحقوق الإنسان وحماية الكرامة الأدمية ومنهم مونتسكيو وروسو وفولتير، وهوبز وجون لوك وبنثام وبيكاريا وغيرهم.

****